المعجم التاريخي للمصطلحات الطبية

د. نشأت الحمارنة(*)
اكتمال رجب(**)

مقدمة:

بدأتِ المصطلحاتُ الطبيةُ بالظهورِ في زمنٍ مبكرٍ قبلَ عصرِ التَّرجمةِ، حتى إنَّ بعضها نجدُهُ في (كتاب العينِ) الذي كتبَهُ الخليلُ بن أحمد الفراهيدي (ق٨م)، وهذه المصطلحاتُ الباكرةُ هي حصيلةُ عبقريةِ النَّاس العاديين الناطقين بالعربيَّةِ الذين عرفوا كُنْهَ الأمراضِ فأطلقوا عليها أسماءً مناسبةً، وهذه هي الطريقةُ التي نصادِفُها في كُلِّ اللُّغاتِ. هذا من ناحيةٍ، ومن الناحيةِ الأُخرى جاءت بعضُ هذه المصطلحاتِ مِنْ وحي معرفة أسماء الأمراضِ باللُّغاتِ التي اختلطَ العربُ بالناطقين بها قبلَ الإسلامِ بزمن بعيد كالسُّريانيَّة والفارسيَّة.

ولكنَّ عصرَ التَّرجمةِ جاء بحصَّةِ الأسدِ من المصطلحاتِ الطبية وذلك نتيجةً لجهودِ التراجمةِ بالدَّرجةِ الأولى. ولعلَّ أغلبَ هؤلاء ممن كانت لغتهم الأمُّ السريانية، وأتقنوا العربية التي تعلَّموها منذ طفولتهم الأولى. ونتيجةً لعصرِ الترجمةِ نُقِلَ الطبُّ اليونانيُّ إلى السريانية وإلى العربية.

(*) باحث في طب العيون.

(**) باحثة في تاريخ طب العيون من سورية.

نستطيعُ أن نجمع عدداً كبيراً من المصطلحات الفنيَّةِ - ومنها المصطلحات الطبية - من مؤلَّفاتِ الأطبّاءِ سواءٌ التي **ظهرتْ في بداياتِ عصرِ الترجمة** مثل (كُنَّاشِ) عيسى بن حَكَم (مسيح الدِّمشقي) (ق٨-٩م) أو رسالته التي كتبها للرشيد (حكم: ٧٨٦-٨٠٩م = ١٧٠هـ-١٩٢هـ) والتي اشتهرتْ فيما بعدُ باسم (الرسالة الهارونية)، أو تلك التي ظهرتْ في ذُروةِ عصرِ الترجمة هذا، أي أيامَ حُنين بن إسحاق في منتصف القرنِ التاسع الميلادي (الثالث الهجري).

وأمَّا فيما يتعلَّقُ بمصطلحاتِ طِبِّ العيون فإنَّ أقدمَ ما وصلَ إلينا هو ما حفظهُ (الحاوي) (كُتب في القرن العاشر الميلادي) على شكل مقتبساتٍ من مؤلَّفاتٍ طِبيّة عربيّةٍ أو من ترجماتٍ لكُتُبِ الإغريق، وهذه كلُّها ضاعتْ ولم تصلْ إلينا إلى عصرنا، وأقدمُ هذه الكُتبِ هي كُتب (ماسرجويه البصري) (عاش في النصف الثاني من القرن ٧م)، سواء منها ما ترجمه عن الإغريقية أو ما كتبه بنفسه، ومن المعروف أنَّ (ماسرجويه) هو أقدمُ من ترجم نصًّا طِبيًّا سريانيًّا إلى العربية – بعدَ الإسلام – كما أنَّهُ أولُ من ألَّفَ في هذا الحقل.

وقد لاحظنا أنَّ كلّ هذه المصطلحاتِ شاعتْ وأصبحتْ موضع اعترافِ جميع المؤلِّفين في مُدَّةٍ لا تتجاوزُ القرنَ الواحد، وبقيتْ بعد ذلك على حالها طيلة القرون التي تمتدُّ من القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري) حتى القرن السابع عشر الميلادي حيثُ نجدُها في معجم القُوصونيّ (قاموس الأطبَّا وناموس الألبَّا) (ق١٧م)، فحينما بحثنا عن أقدم ذكرٍ لهذه المصطلحات وقارنَّاها بما جاءَ في ذُروةِ عصر الترجمة تبيَّنَ لنا أنَّ كلَّ هذه المصطلحات استقرَّتْ واعتُرِفَ بها منذ البداية وحتى عصر تأسيس طبِّ العيون العربي (نهاية القرن العاشر الميلادي إلى بداية القرن الحادي

عشر) (القرن الرابع الهجري إلى بداية القرن الخامس) أيّ إلى أيامِ ظهور (قانون) ابن سينا و(تذكرة) عليّ بن عيسى الكحَّال.

فمن وجهةِ نظرِ تاريخ ظهور المصطلحات صارَ لزامًا علينا أن نعدَّ المرحلة الممتدة بين (القرن الثامن الميلادي وبداية القرن الحادي عشر الميلادي) مرحلةً واحدةً، نشأَ نتيجة لها طبُّ العيون العربي وظهرتْ مصطلحاته الفنية كما ظهرت فيه – وهو الأهم – أمهاتُ الكُتُبِ التي عالجت هذا الفرعَ التخصصيَّ من فروع الطّبّ.

وفي هذه الدراسة أيضاً نوردُ (**تعريف المصطلح**) الذي اعتمده بعضُ كبار المؤلّفين، وبذلك نكونُ قد مهّدنا الطريق لكتابة (**المعجم التاريخي للمصطلحات الطبية**).

جَرَب العين

أولاً: مقدِّمة:

الجَرَبُ كلمةٌ معروفةٌ في اللُّغة[1] أطلقت على مرضٍ جلديٍّ، وقد حافظ هذا المصطلحُ على معناه في مجال (أمراض الجلد).

لكنَّ الأطبَّاء العرب استعملوا هذه الكلمة في حقلٍ آخر من حقول الطِّبِّ لتعني مرضاً من الأمراض التي تصيب الجفن أيّ (الملتحمة الجفنيّة) كما نقول اليوم. ومعنى الجَرَب في حقل (أمراض العين) يختلف – بطبيعة الحال – عن معناه في حقل (أمراض الجلد) فنحن هنا أمام مصطلحَيْن مختلفين، كلاهما في حقل الطِّبِّ:

(١) الخليل: كتاب العين: (٦/ ١١٢): «الجَرَبُ معروف . وجَرِبَ البعيرُ يَجْرَبُ جَرَباً، فهو جَرِبٌ وأَجْرَبُ».

الجَرَب عمومًا وهو المرض الجلدي، وجَرَب الجفن أو جَرَب العين.

ولم تعد هذه الكلمة - جَرَب العين - مستعملةً في مصطلحات الطِّبِّ الحديث. فـ(جَرَب الجَفْن) هو التراخوما أو (الرَّمَد الحُبيبي) كما نقول اليوم. أو (الحَثَر)، بتعبير المعجم الطِّبِّيِّ الموحّد.

كان الإغريق - من قبل - قد وصفوا مرضين من أمراض الجفن يتظاهران بالحِكَّة:

أحدهما سَمَّوْه: (تراخوما[٢] Trachoma) وترجمه العرب إلى كلمة (جَرَب الجفن)[٣].

والثاني سَمَّوْه: (بسوروفثالميا[٤] Psorophthalmia) ويعني (الحُكاك) أو (الحِكَّة). وهو عندهم (التهاب حافات الأجفان). وترجمه العرب إلى كلمة (السُّلاق)[٥].

---

(٢) مايرهوف: ترجمة مقالات حنين: (ص ٥٩، س ٥)، هيرشبرغ: ترجمة التَّذكِرة: (ص ٥٨، الهامش ١) . كيسي وود: ترجمة التذكرة: (ص ٨٥) .

(٣) هيرشبرغ: ترجمة القانون: (ص ١١٥، الهامش ١)، هيرشبرغ: ترجمة التذكرة: (ص ٥٨، الهامش ١)، هيرشبرغ: تاريخ (القدماء)..: (ص ٣٧٦). تاريخ (العرب)..: (ص ١٧٤-١٧٦). وقد ترجم هيرشبرغ كلمة تراخوم الإغريقية إلى إحدى كلمتين بالألمانية: Rauigkeit وتعني (خشونة). أو Kōrnerkrankheit وتعني (المرض الحبيبي). تاريخ (القدماء)..: (ص ٣٧٦). تاريخ (العرب): (ص ١٧٤).

(٤) هيرشبرغ: ترجمة القانون: (ص ١٠١، ص ١١٥، هامش ١). هيرشبرغ: ترجمة التذكرة: (ص ٩٨، هامش ٢). كيسي وود: ترجمة التذكرة: (ص ١٠٦). - وضّح هيرشبرغ (ترجمة التذكرة) أن المرض الذي سمّاه الإغريق الحكّة، إنما هو التهاب حافات الأجفان Lidrand Entzündung.

(٥) التَّذكِرة: (ص ١٢٠). - لكنَّ مايرهوف له اجتهاد آخر في هذا الموضوع . يُنظر: مايرهوف، ترجمة مقالات حنين: (ص ٥٩ - الهامش ٢).

والمُـرَجّح أنَّ العـرب اختـاروا كلمـة جَـرَب الجفـن ليترجمـوا بهـا المصطلح الإغريقي تراخومـا، بسـبب أنَّ الحِكَّـة هـي العَـرَض الـرَّئيس فـي التراخومـا، وهـي كـذلك فـي الجَـرَب. فَوَصْـفُ المـرضِ – كمـا جـاء عنـد الإغريق – هو الذي أوحى للعرب بهذه الترجمة.

فالذي يميّز جَرَب الجلـد هـو الحِكَّـة الشَّـديدة، ومـن هنـا فـإنَّ الحِكَّـة الشَّديدة – التي هي العَرَض الطاغي في (التراخوما)[٦] – هي سـبب التَّسـمية الجديدة – المصطلحية –.

لم يَقُلِ العرب دائماً جَرَب الجفن أو جَرَب العين، بل اكتفوا فـي معظـم الأحيان بقولهم الجَرَب ودلالة اسم المرض تُفْهَمُ من السياق.

فثمَّة الجَرَب في أمراض الجلد. وثمَّة الجَرَب في أمراض العين.

خلاصة القول إنَّ التهاب حافات الأجفان – الذي وصـفه الإغريـق تحـت اسم (بسوروفثالميا Psorophthalmia) – ترجمه العرب إلى كلمـة (السُّـلاق)[٧]. وكان الإغريق قد وصفوا مرضاً يصيب الجفن أو الملتحمة وسَمَّوْه (قنيسـموس Knesmos)[٨] وترجمها العرب إلى (الحِكَّة) وهـي عنـد الإغريـق حالـةٌ مرضـيَّةٌ تتظاهر بالدُّماع والحِكَّة وحُمْرة الأجفان.

---

(٦) حتى إنَّ الرازي في كتاب (الحاوي) يكتب: «وأمَّا الحِكَّـة يعنـي الجَـرَب ...». وكـذلك فإنَّ ابن سينا يجعل (الجَرَب والحِكَّة) عنواناً لفصلٍ واحد، وفي المـتن يصـف الجَـرَب. القانون: تحقيق: وفائي/ قلعـه جـي: (ص ١٢٤). القـانون: طبعـة بـولاق: (ص ١٣٥)، ترجمة القانون: (ص ١١٥).

(٧) هيرشبرغ: ترجمة القـانون: (ص ١٠١، ١١٥، هـامش ١). هيرشـبرغ: ترجمـة التـذكرة: (ص ٩٨، هامش ٢).

(٨) ترجمة المقالات: (ص٥٧).

وبسبب ذلك فإنَّ الأطبَّاء العرب عدُّوا (الحِكَّة) في بعض الأحيان عَرَضَاً وفي أحيانٍ أخرى مرضاً. وصنَّفوا مرض الحِكَّة تارةً بين أمراض الجفن وتارةً بين أمراض الملتحمة.

* * *

و(الحِكَّةُ) - المرضُ - تتحول إلى (السُّلاق) إذا لم تحسن معالجتها. والسُّلاق يسبِّب أولاً ظهورَ القشور والوسوف بين الأهداب، وبعد ذلك تتساقط الأهداب وقد سمَّى الإغريق والعرب هذه المرحلة من مراحل المرض (انتثار الهُدب) أو (تساقط الأهداب) أو (تساقط الأشفار)، وعدُّوها مرضاً مستقلًّا في الوقت نفسه الذي عرفوا فيه أنَّها إنما هي حالةٌ متقدمةٌ من حالات (السُّلاق)، وبعدها تتقرح حافَة الجفن، وهكذا ينتهي (السُّلاق) (بالسَّعفه) إذا لم تحسن معالجته.

فالقرابة بين الحِكَّة والسُّلاق وانتثار الهدب والسَّعفة معروفةٌ من أيام الإغريق، وقد أكدَّها العرب، وما تزال - حتى اليوم - موضع اهتمام مصنفي كتب طِبِّ العين الحديثة.

وهكذا فإنه ينبغي علينا أن نؤكد أن العرب ميزوا بين التهاب حوافِّ الأجفان (السُّلاق)، والتهاب حافات الأجفان المزمن وأعطوه اسم (السَّعْفة).

* * *

ثانياً: الجَرَب في اللُّغة:

ظَلَّ مصطلحُ (الجَرَب) في اللُّغة يشير إلى المرض الجلدي المعروف، ونجد هذا المصطلح في كُلِّ المعجمات، كما نجده في الحديث الشَّريف.

وبعدما استعمل الأطبَّاءُ مصطلحَ (جَرَب العين) أو (الجَرَب) للدَّلالة

على المرض الذي يصيب الجفن انتقل هذا المصطلح الجديد إلى معجمات اللُّغة وإلى الكتب الأخرى المعنيّة، ولذلك فإنَّنا نجده بهذا المعنى الجديد عند ابن أبي ثابت وابن سِيْدَة على سبيل المثال، ونرجّح أنَّ ما نقله ابن سِيْدَة عن صاحب العين نقلٌ صحيحٌ(٩)، وهذا يعني أنَّ المصطلح بدلالته الجديدة كان معروفاً أيام الخليل.

اكتفى الأطبَّاء العرب باستعمال كلمة (الجَرَب) في النُّصوص المتعلِّقة بطبِّ العين، لكنَّ بعضهم استعمل في أماكن متفرّقةٍ كلمتي الخُشونة أو الحِكَّة لوصف الجَرَب أو للإشارة إليه أو لتكون مرادفةً له.

أمَّا كلمة الحَثَر التي تعني الخُشونة في الجفن فلم يستعملها أحدٌ من المؤلِّفين في التراث الطِّبِّيّ العربيّ كُلِّه في حدود ما نعلم، إلَّا أنَّ زملاءنا الذين كتبوا المعجم الطِّبِّيّ الموحّد اختاروها لكي تكون المصطلح (الموحّد) الذي يقابل الكلمة الإغريقيَّة (تراخوما) ولكي تحلَّ محل المصطلح (الرَّمَد الحبيبيّ).

– الخليل: كتاب العين: (٦/ ١١٢): «الجَرَبُ معروف. وجَرِبَ البعير يَجْرَبُ جَرَباً، فهو جَرِبٌ وأَجْرَبُ».

– ابن أبي ثابت: (خلق الإنسان: ص ١٢٢ – ١٢٣): «وفي العَيْن الجَرَبُ، وهو كالصَّدَأ يَرْكَبُ باطِنَ الجَفْنِ فَرُبَّما أَلْبَسَهُ أَجْمَعَ، ورُبَّما كان في بَعْضِه، يقال صَدِئَ يَصْدأُ صَدَأً وصُدُوءاً».

(٩) نقل ابن سِيْدَة في (المخصَّص) عن (صاحب العين) عبارةً لم نجدها في كتاب العين المحقّق. ويعتقد كثيرون أنَّ أجزاءً من كتاب العين ضاعت. لذلك نرجّح أن مصدر عبارة ابن سِيْدَة هو حقًّا كتاب العين، وأن العبارة سقطت من المخطوطات التي استعمِلَت في التحقيق . فمن غير المعقول أن ينقل ابن سِيْدَة عن الخليل كلاماً لم يُكتب. «الأجرب: الذي تبثُر عينه..».

- ابن سِيْدَة: المخصص: (١/ ١٠٩): « ثابت: وفي العين الجَرَبُ: وهو كالصَّدَأ يركبُ الجَفنَ فربما ألبَسَهُ أجمعَ، وربما كان في بعضه. وصَدِئَتْ عينُه صُدْأَةً وصَدَأً.

صاحب العين: الأجْرَب: الذي تَبثُر عينُه يَخْرُج بها بَثَرٌ فَتَضُمُّ أشفارَهُ ويلزم عينَه الحَطَاطُ: وهو الحَصَف واحدتُها حَطَاطَة ».

- ابن منظور: لسان العرب: (١/ ٢٦٠): «.. والجَرَبُ كالصَّدأ، مقصور، يَعْلُو باطن الجَفْن، ورُبَّما أَلبَسَه كلَّه، وربما رَكِبَ بعضه ».

ثالثاً: المصطلح:

أقدم ذكرٍ لكلمة الجَرَب جاء على لسان (ماسرجويه) البصريّ (اليهودي) وقد حفظها (الحاوي).هذا يعني أنَّ كلمة الجَرَب استعملت بوصفها المرادف العربيّ المصطلحيّ لكلمة تراخوما الإغريقيَّة(١٠).

وقد ذكر المصطلح عيسى بن حكم في (الرِّسالة الهارونيَّة) التي قدمها للرشيد.

هذا يدلُّ على أنَّ العرب استعملوا هذا المصطلح قبل عصر الترجمة - أيّ قبل إنشاء بيت الحكمة - فهل جاء ذلك بوحيٍ من المصطلح الإغريقيِّ؟ بمعنى أنَّ الأطبَّاء الذين كانوا يعرفون بعض النُّصوص الطبية اليونانيَّة فهموا معنى المصطلح باليونانيَّة.

وقد عرّف ابن (ماسويه) هذا المصطلح في كتاب (دَغَل العين): «وإذا رأيتَ العينَ تدمعُ، حمراءَ، فاقلبها، فإن رأيتَ في الجفن حَبّاً صغاراً حُمْراً وبيضاً فذلك جَرَب».

(١٠) هيرشبرغ: «إن المرض الذي سمَّاه الإغريق تراخوما سمَّاه العرب الجَرَب Krätze». ترجمة القانون: (ص ١١٥، هامش ١). ترجمة التذكرة: (ص ٥٨، هامش ١).

وفي الكُنَّاش المُشجَّر (المخطوط): «وقد يَعْرِض أيضاً في باطن الأجفان خُشونةٌ تسمَّى طراخوما:

فإنْ كثرت الخُشونة حتى تُرى في باطن الجفن نقطاً شبيهةً بشقِّ التين يُسَمَّى: سوقوسيس.

وإنْ تطاولت الخُشونة والنقط وكانت مع صَلابةٍ وتورُّمٍ يسمَّى: تولوسيس».

لكنَّ (الحاوي)[١١] ينقل عن كتاب مجهول: «مجهول من كتاب مجهول... وإذا طال على العين الرمد ولم ينجح فيها العلاج فاقلب جفنها فإن فيه جرباً والجرب بثر صغار». ولعلَّ التعريف القصير – بَثْرٌ صغار – هو أقدم تعريفٍ للجرب إذا كان صاحبه قد عاش قبل ابن ماسويه.

وفي الوقت نفسه ذكره حنين في المسائل[١٢] وفي العشر مقالات[١٣].

وبعد ذلك ذكره علي بن سهل (رَبَّن) الطبري[١٤]. وصاحب الذَّخيرة[١٥] (في القرن التاسع الميلادي، الثالث الهجري).

في حدود ما رأينا اعتُمِدَ مصطلح (جَرَب العين) في القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي عند الأطبَّاء والتراجمة ليدلَّ على المرض المسمّى تراخوما، وعن هؤلاء أخذ ابن أبي ثابت في كتابه (خلق الإنسان)[١٦].

---

(١١) الحاوي (٢/ ٤٢).

(١٢) المسائل في العين: (مسألة:١٣٨، ص ٥٦).

(١٣) العشر مقالات: (ص ١٣١ – ١٣٢).

(١٤) فردوس الحكمة: (ص ١٧٣ ـ و ١٧٥).

(١٥) الذخيرة: (ص ٣٧).

(١٦) خلق الإنسان: (ص ١٢٢ – ١٢٣) .

رابعاً: في كتب الطِّبِّ:

- **المقدِّمة:**

كان (هيرشبرغ) وزميلاه (ليبرت) و(متفوخ) قد ترجموا القسم المتعلِّق بأمراض العين من كتاب (القانون)[١٧] لابن سينا، وكتابَ (تذكِرَة الكَحَّالين)[١٧] لعليّ بن عيسى، وكتابَ (المُنتخب)[١٧] لعمَّار بن عليّ الموصليّ، وقارنوا المصطلحات الإغريقيَّة بالمصطلحات العربيَّة، كما قارنوا الوصف السَّريريّ لأمراض العين عند المؤلِّفين الإغريق[١٨] بالوصف السَّريريّ للأمراض إياها عند العرب[١٩]، وكثيراً ما خرجوا بنتائج تشير إلى تفوّق المؤلِّف العربيّ على المؤلِّف الإغريقيّ في حقل الوصف السَّريريّ[٢٠].

فالفضل يعود إلى (هيرشبرغ) وزميليه الذين وضعوا - منذ مطلع القرن العشرين - بين أيدي مؤرخي الطِّبِّ كلَّ هذه المصطلحات باليونانيَّة والعربيَّة وترجموها إلى الألمانيَّة، وحقّقوا النُّصوص العربيَّة وترجموا بعضها إلى الألمانيَّة وبَحَثوا عن أصولها في التراث الطِّبِّيّ الإغريقيّ[٢١].

- **نصوص مختارة:**

- ابن ماسويه: دَغَل العين (المخطوط): « وإذا رأيتَ العينَ تدمعُ، حمراءَ، فاقلبها فإنْ رأيتَ في الجفن حَبّاً صغاراً حُمْراً وبيضاً فذلك جَرَب».

---

(١٧) ترجمة القانون: عام ١٩٠٨، ترجمة التذكرة: عام ١٩٠٤، ترجمة المنتخب: عام ١٩٠٥.

(١٨) وبخاصَّة عند بولص وأايتيوس.

(١٩) وبخاصّة عند عليّ بن عيسى.

(٢٠) مثلاً: يقول (هيرشبرغ): إن وصف مرض السُّلاق عند علي بن عيسى أحسن (besser) من وصف بولص لهذا المرض.- ترجمة التذكرة: (ص ٩٨، هامش ١). أمَّا كيسي وود الذي قرأ تعليق هيرشبرغ فإنه لم يُشِرْ إليه حينما ترجم التذكرة إلى الإنكليزية. ينظر: (ص ١٠٦) من الترجمة.

(٢١) وبخاصّة ما ورد عند بولص وأايتيوس نقلاً عن جالينوس.

– ابن ماسويه: الكُنَّاش المُشجَّر (المخطوط): «وقد يَعْرِض أيضاً في باطن الأجفان خُشونةٌ تُسَمَّى طراخوما:

فإنْ كثرت الخُشونة حتى تَرى في باطن الجفن نقطاً شبيهةً بشقِّ التين يُسَمَّى: سوقوسيس.

وإنْ تطاولت الخُشونة والنقط وكانت مع صَلابةٍ وتورُّمٍ يسمَّى: تولوسيس».

– حنين بن إسحاق: العشر مقالات في العين: (ص ١٣١ – ١٣٢): «أمراض الجفن: وأمَّا في باطِنِها فيعرِض الجَرَبُ، والبَرَد، والتَحَجُّر، والالتزاق. فأمّا الجَرَب فأربعة أنواع:

النَّوع الأوّل يسمى (داسيتيس) وهو الرَّقيق.

والثاني (طراخيتيس) وهو الخشن.

والثالث (سوقوسيس) وهو التِّيني.

والرابع (تولوسيس) وهو الخَشِن الصُّلْب.

فأمّا النَّوع الأوّل من الجَرَب فإنَّه يخالف الثاني بأنّه أنقص منه لأنَّ النَّوع الأوّل يَعرِض في ظاهر باطن الجفن.

ومعه حُمْرة. [يقصد بذلك الطبقة السطحية من باطن الجفن]

وأمّا النَّوع الثاني فخُشونته أكثر، ومعه وجعٌ وثِقْل. وكلا النَّوعين يُحْدثان في العين رطوبةً.

وأمّا النَّوع الثالث فهو أشدُّ وأصعب من الثاني والخُشونة فيه أكثر، حتى تَرى في باطن الجفن شبيهاً بشُقوق التِّين ولذلك يسمّى (سوقوسيس).

وأمّا النَّوع الرَّابع فإنّه أصعب من الثالث وأكثر خُشونة وأطول مُدَّة وخُشونة مع صَلابة شديدة».

- الرازي: المنصوري: (ص ٣٩٤): «في الجَرَب والسَّبَل: إذا كان جفنُ العين غليظاً وباطنُه إذا قَلَبْتَهُ خشناً مُحمرًّا، فإن هذا هو جَرَب الجفن».

- الرازي: التقسيم والتشجير: (ص ١١٤): «في الجرب في العين: يكون منه رقيق مبتدئ. وعلامته: أن يكون باطن الجفن فيه حمرة وخشونة يسيرة، ويحدث بعقب الرمد و القروح.

ويكون منه مزمن غليظ. وعلامته: أن يكون باطن الجفن إذا قلبته شبيهاً بالمنشار، والجفن غليظ جدًّا».

- الكشكري: الكُنَّاش: (ص ٤٠): « في علاج أمراض العين وعدد أمراضها على ما قال (جالينوس) يحدث في الجفن خمسة عشر صِنفاً من الأمراض وهي: الجَرَب، و...

فأما الجرب فأربعة أنواع:

أحدها: يظهر في ظاهرِ باطنِ الجفنِ ومعه حمرة، ويحدث عن مادة رديئة منبعثة متعفنة تنصب إلى باطن الجفن فيغلظ ويتحبب.

والثاني: أشد وفيه شَبَهٌ بحب التين، ويسمى التيني وهو إذا كانت المادة أغلظ وأردأ.

والثالث: أشد منه وخشونته أكثر ومعه وجع ثقيل.

والرابع: أطول مدة، ومع الخُشونةِ صَلابةٌ وثقل ».

- علي بن العباس المجوسي: الملكي (المخطوط): (١/ ٣٤٢) (التحقيق: ص ٢٦٨): «في أمراض الأجفان: فأما العلل العارضة في الأجفان خاصة دون سائر البدن فهي: الجرب: وأما الجرب فهو أربعة أنواع:

أحدها: يحدث في باطن الجفن الأعلى لخشونته.

والثاني: يكون أظهرَ خشونة، وأشدَّ حمرة ودمعة، ومعه وجعٌ وثِقْل.

ويَعمُّهما جميعاً رطوبةٌ في العين.

وأما الثالث: فهو أقوى وأظهرُ خشونة، حتى يُرى في باطن الجفن تشقّقٌ مثل تشقّق التين ويكون أشدَّ حمرة ووجعاً وثقلاً وحِكةً شديدة.

وأما النوع الرابع: فهو أصعب من الثالث، وأشدُّ حمرة وأصعبُ وجعاً وحكة، وأكثر خشونة وتكون الأجفان ثقيلة مع صلابة، وهذا النوع من العلل المتطاولة».

– القمري: (غِنى ومُنى/ المخطوط): «الجَرَب في العين أربعة أنواع:

أحدها: حُمْرة تَحدث في سطح الجفن الباطن مع خُشونة قليلة.

الثاني: غِلَظ مع حُمْرة، وخُشونته أكثر، ويكون معه وَجَع وثِقَل.

وهذان يَحْدُثَان في العين من رطوبة.

الثالث: أقوى من الثاني وأصعب، والخُشونة فيه أكثر، ويحدث معه في الجفن شُقاق يشبه الأشكال المعقفة في جوف التِّين، ومعه أيضاً تحبّب ويسمّى تينيًّا.

والرَّابع: أخشن وأصعب منه».

– عمّار بن عليّ الموصلي: المُنتخب: (ص ٢٨ ← ٣٠، الترجمة: ٤٠ ← ٤٤): «أمّا الجَرَب فإنَّه أربعة أنواع:

أمّا النَّوع الأوّل منه: فيكون شبيهاً بالحَصَف، وهذا يكون إذا طال بالإنسان الرَّمَد، وتكوينه عن خلطٍ دموي ليس بالمفرِط، ومن التواني في عَقِب الرَّمَد عن المداواة.

النَّوع الثاني من الجَرَب: وأمّا النَّوع الثاني فهو أكثر خُشونة من الأوّل، ومعه وجَع وثِقْل وقَطْع ودَمْعة، وليس بالغليظ، وهذا يكون من كثرة الأخلاط الصفراوية والدَّموية، وهذا النَّوع يحتاج إلى علاج غير علاج النَّوع الأوّل.

وأمّا النَّوع الثالث من الجَرَب: فإنَّه أشدُّ وأصعب من النَّوعين الأولين، والخُشونة فيه أكثر، وتَرى فيه شِبْه شُقوق التِّين، وهذا الصِّنْف من الجَرَب يقال له التِّيني، ومعه وَجَع، وثِقْل، واسْترخاء في الأجفان، ووخز مثل الشوك داخل العين وحُمْرة، وحُرْقة، ودَمْعة غليظة.

أمّا النَّوع الرَّابع من الجَرَب: فإنَّه أصعب وأشدُّ من الثلاثة المقدم ذكرها وأكثرها خُشونة مع صَلابة شديدة، وقَطْع غليظ ودَمْعة مثل المِدَّة، وأطولها مُدَّة، لأنَّه قد جَفَّفَتْه وصَلَّبَتْهُ الأخلاطُ السوداوية».

- ابن سينا: القانون: (٢/ ٢٢٨ - التحقيق: ص ١٢٤، الترجمة: ١١٥ - ١١٦): «فصل في الجَرَب والحِكَّة في الأجفان:

سببه مادَّة مالحة بورقية(*) من دم حادّ، أو خِلط آخر حادّ يحدث حَكًّا، ثمَّ يجرَب. وأكثره عَقيب قُروح العين، وتبتدئ العِلَّة أولاً حكَّة يسيرة، ثم تصير خُشونة، فيحمرُّ الجفن، يصير تينيًّا متقرّحاً، ثم يحدث المُحبَّب الصُّلْب عند اشتداد الشُقاق في الحكَّة والتورّم».

- الزهراوي: التصريف: (ص ٤٠٢): «فالجَرَبُ هو خشونة من فضلٍ دمويٍّ حارٍّ تدفعه الطبيعة إلى باطن الجفنين وأكثر ما يعرِض بعقب الرمد والقروح، وهو أربعة أنواع:

الأول علامته خشونة وحمرة وشيء من رطوبة بلا وجع ولا كثير ضرر.

الثاني علامته الخشونة والحمرة والرطوبة أكثر من الوجع والثقل في العينين.

(*) البَوْرَق: كلمة عربية انتقلت إلى الغرب فصارت **borak** وهي «بورات الصوديوم المائية: ملح حمض البور» وتعرف لدى الصيادلة اليوم باسم بوريك. [المجلة].

الثالث علامته الخشونة والحمرة والرطوبة أكثر والوجع أشَدّ، فإذا قلبت الجفن رأيته أشبه شيء بتينة إذا قلبتها، وكذلك يسمى هذا النوع التيني.

والرابع علامته أن يبقى أشد خشونة وحمرة وصلابة من سائر أعراض الأنواع الأُوَل وأطول مدة وأبعد من البُرء، بل لا يبرأ على الأكثر».

- عليّ بن عيسى: التذكرة: (ص ٧٦ ← ٨٣، الترجمة: ٥٨ ← ٦٧):

«في أصناف الجَرَب وعلاجه: كم هي أنواع الجَرَب؟ أربعة أنواع.

ما هو النَّوع الأوّل من الجَرَب ؟ حُمْرة تَعرِضُ في سطح باطن الجفن.

ما علامته؟ أنَّك إذا قلبتَ الجفن رأيتَ فيه حَبَّاً شبيهاً بالحَصَف، وهو أنقص صعوبة ووَجَعاً من ثلاثة أنواعه الباقية ومعه دَمْعة.

ما سبب جميع أنواع الجَرَب؟

١- رطوبة مالحة بَوْرَقِيَّة.

٢- ومن مداومة[٢٢] في الشَّمس والغُبار والدُّخان.

٣- ومن فساد التدبير في علاج الرَّمَد.

ما علامة النَّوع الثاني من الجَرَب ؟ أنَّه أكثر خُشونة من النَّوع الأوّل ومعه وَجَع وثِقْل، وكلا النَّوعين يُحْدِثان في العين دَمْعة ورُطوبة.

ما علامة النَّوع الثالث من الجَرَب؟ إنَّه أشدُّ وأصعب من الثاني والخُشونة فيه أكثر، وتَرى في باطن الجفن شُقوقاً سوداً تشبه شُقوقَ التِّين ولذلك يقال له التِّيني.

فأمَّا النَّوع الرَّابع من الجَرَب فإنَّه أصعب من الثلاثة الأنواع الأُوَل،

(٢٢) الكلمة (بورقية ومن مداومة) ساقطة من التحقيق . وضعناها من مخطوط دانيال بن شعيا . وقد وردت هكذا في الترجمة.

وأكثرها خُشونة وأعظمها آفة وأطولها مُدَّة، ومعه وَجَع وصَلابة شديدة ولا يكاد ينقلع بسرعة لغِلَظه وخاصّة إذا عَتُق. وربما حدث معه شعر زائد.

وعلامته أنَّك إذا قلبت الجَفْن تَراه أسودَ كَمِداً تعلوه (خشكريشة)».

* * *

الحِكَّة

أولاً – مقدِّمة:

المعروف أنَّ الحِكَّةَ عَرَضٌ يظهر في أكثر من مرض، ويتظاهر في عِدَّة أماكن من الجسم، وأكثر ما يتظاهر على الجلد.

والمعروف كذلك أنَّ أمراض العين تتظاهر بعددٍ من الأعراض الشائعة، فمن هذه الأعراض: الدُّماع والاحمرار والألم، وكذلك الحِكَّةُ.

فالحِكَّة إذن عَرَضٌ يظهر في أكثر من موضعٍ من البدن، ومن هذه المواضع العين.

لكنَّ الأطبَّاء استعملوا أيضاً مصطلح الحِكَّة ليدلَّ على اسم مرضٍ يصيبُ الأجفانَ أو يصيبُ الملتحمةَ أو يصيبهما معاً.

فمصطلح الحِكَّة في التراث الطِّبِّيّ العربيّ قد يعني مرضاً له أسبابه وتظاهراته وعلاجه وأدويته وسيره الخاصّ به، وقد يقتصر على كونه عَرَضاً مستقلًّا، أو عَرَضاً يرافق بعض الأمراض ويشكّل واحداً من (دلائِلِها)[٢٣].

* * *

(٢٣) كثيراً ما استعمل الأطبَّاء العرب كلمة الدلائل لتشيرَ إلى أعراض المرض وعلاماته.

وقد عَرَفَ الأطبَّاءُ منذ أقدم الأزمنة أنَّ الحِكَّة هي العَرَض الرَّئيس في جَرَب الجلد. وكذلك قال الإغريق - من قَبْلُ - إنَّ الحِكَّة هي العَرَضُ الأهمُّ في مرض التراخوما الذي سمَّاه الأطباءُ العربُ جَرَبَ الجفن.

ولعَلَّ الحِكَّة هي التي دفعت الأطبَّاءَ العربَ لاختيار مصطلح (جَرَب الجفن) أو (جَرَب العين) لوصف هذا المرض الذي ذكره الإغريق، والذي نسمِّيه اليوم (تراخوما)، ذلك أنَّ مرضَ الجَرَب المعروفِ منذ القدم والذي يصيبُ الجلدَ يتظاهرُ قبل أي شيءٍ بالحِكَّة، وكذلك (التراخوما).

ورد مصطلح الحِكَّة عند مسيح الدِّمشقيّ في (الرِّسالة الهارونيَّة) بوصفه مرضاً يصيبُ العينَ[٢٤]، وقد جاء هذا الاسمُ مفرداً[٢٥] أحياناً، ومعطوفاً[٢٦] على (جَرَب العين) أحياناً أخرى.

والأمر نفسه يقال عن هذا المصطلح عند ابن ماسويه في (دَغَل العين)[٢٧].

وقد استعمل عليّ بن سهل (رَبَّن) الطَّبريّ هذا المصطلح في (فردوس الحكمة)، والحِكَّة عنده من أمراض الملتحمة[٢٨].

وقد أورد الرازي في (الحاوي) مصطلح الحِكَّة، كما أورد مصطلح الحُكَاك[٢٩].

وقد وصف بعض المؤلِّفين حالة تحوّل (مرض الحِكَّة) إلى (مرض

(٢٤) الرِّسالة الهارونيَّة: (ص ٢٧٣): «الحِكَّة العارضة في العين».

(٢٥) الرِّسالة الهارونيَّة: (ص ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٥).

(٢٦) الرِّسالة الهارونيَّة: (ص ٢٠٩، و ٤٥١): «.. وتقطر في العين تنفع من الجَرَب والحِكَّة الكائنة فيها».

(٢٧) دَغَل العين/ المخطوط: «للجَرَب والحِكَّة»، «الانحكاك والجَرَب».

(٢٨) فردوس الحِكمة: (ص ١٦٢): «أمراض الملتحم.. وهو الغشاء البرَّاني.. الحِكَّة..».

(٢٩) الحاوي: (٢/ ٢٧٦).

الجَرَب)، وبخاصَّةٍ إذا أُهمِلَ علاجها، فالحِكَّة كثيراً ما تتحول إلى جَرَب الجفن، بأعراضه الوصفية(٣٠).

ثانياً - الحِكَّة في اللُّغة:

- الفيروزآبادي: القاموس المحيط: (٣/ ٢٩٩): «الحَكُّ: إمْرارُ جِرْمٍ على جِرْمٍ صَكًّا.

واحْتَك رأسي وحَكَّني وأحَكَّني واسْتَحَكَّني دَعاني إلى حَكِّهِ والاسْمُ الحِكَّةُ بالكسر.

وتَحاكَّا اصْطَكَّ جِرْماهُما فَحَكَّ كُلٌّ الآخَرَ.

والحِكَّةُ بالكسر الجَرَبُ.

والحُكاكُ كغُرابٍ: البُورَقُ، وبهاءٍ ما حُكَّ بين حَجَرَيْنِ ثم اكْتُحلَ به من رَمَدٍ. وما يَسْقُطُ من الشيءِ عندَ الحَكِّ».

- ثالثاً: الحِكَّة في الكتب الطبية:

مقدِّمة:

عَدَّ بعضُ الأطبَّاء الحِكَّة مرضاً من أمراض الجفن، وعَدَّها آخرون من أمراض الملتحمة، وكذلك عَدَّها بعضهم من الأمراض التي تصيب الجفن والملتحمة في آنٍ واحد.

ولاحظ بعضُ المؤلِّفين أنَّ مرضَ الحِكَّة يمتدُّ من الجفن حتى يصيبَ أحد المُؤْقَين أو حتى يصيبَ المُؤْقَين معاً، ومن الواضح أنَّهم كانوا - في ذلك الوقت - يصفون ما نسميه اليومَ (التهاب حافات الأجفان الزاوي).

(٣٠) ابن سينا: القانون: (٢/ ٢٢٨)، خليفة: الكافي: (ص ١٤٠)، ابن النفيس: المُهذَّب: (ص ٢٧٤).

ولاحظ بعضُ الأطبَّاء أنَّ أعراض الحِكَّة تتوضَّع بشكلٍ أشدّ في باطن الجفن.

وركّز بعضُ المؤلِّفين على ضرورة الإسراع في علاج الحِكَّة، وإلَّا فإنَّها سوف تتطوَّر إلى جَرَب الجفن.

* * *

أقدم ذكرٍ لمصطلح الحِكَّة – بوصفها عَرَضاً – نجده عند ماسرجويه البصريّ(٣١).

أمَّا الحِكَّة بوصفها مرضاً فإنَّ أقدم ذكرٍ لها جاء على لسان مسيح الدِّمشقيّ (عيسى بن حكم)(٣٢).

أمَّا ابن ماسويه فقد ذكرها مرَّةً بوصفها عَرَضاً(٣٣) ومَرَّةً بوصفها مَرَضاً حينما عدَّدَ أمراض العين في معرفة مِحْنة الكَحَّالين (المخطوط): «أوجاع العين وعِللها في حُجبها وأغشيتها: الرَّمَد والقُروح... والحِكَّة...».

وكذلك فعل عليّ بن سهل (رَبَّن) الطَّبريّ(٣٤) الذي استعمل المصطلح بدلالتيه في جملةٍ واحدة: «وأمَّا الحِكَّة فتكون معها دمعةٌ مالحةٌ وحِكَّةٌ وحُمْرةٌ في الأجفان»، وهو هنا يحذو حذو حنين(٣٥).

---

(٣١) الحاوي: (٢/ ٤٣٤).

(٣٢) الرِّسالة الهارونيَّة: (ص ٢٠٩): «مرارته [النسر] تذاب بالعسل وتُقطر في العين تنفع من الجرب والحكة الكائنة فيها». (ص ٢٧٣): «.. وإذا جُعل [حجر الزبرجد] في الكُحْل أذهب الحِكَّة العارضة في العين». (ص ٣٠٩): «قال جالينوس وممَّا ينفع من حِكَّة العين للجفون..».

(٣٣) الكُنَّاش المُشجَّر (المخطوط): «وإنْ كان في العين: احمرار وحِكَّة اجتنب الأدوية الملذعة». «في الجَسَا وهي صَلابة تعرِض في العين مع حِكَّة».

(٣٤) فردوس الحكمة: (ص ١٦٢).

(٣٥) المسائل في العين: (المسألة: ١٦١، ص ٦١)، العشر مقالات: (ص ١٢٧ – ١٣٠).

الكلمة الأولى تدلُّ على مرضٍ والكلمة الثانية تدلُّ على عَرَض.

وعَدَّ حنينُ بن إسحاق[٣٦] الحِكَّةَ واحداً من الأمراض السبعة التي تصيب الحِجاب المُلتحم. كما عدَّها واحداً من أمراض الأجفان الخاصَّة بها[٣٧].

- **نصوص مختارة:**

- حنين بن إسحاق: المسائل في العين: (المسألة: ١٦١، ص ٦١): «ما علامة الحِكَّة؟

جواب: علامة الحِكَّةَ: أنْ يحدثَ في العين دمعةٌ مالحةٌ بورقيةٌ وحِكَّةٌ شديدةٌ وحُمْرةٌ في الأجفان والعين، وربَّما عَرَضَ من شِدَّة الحِكَّة قُروحٌ في الأجفان».

- حنين بن إسحاق: العشر مقالات في العين: (ص ١٢٧، ١٣٠، الترجمة: ص ٥٧): «فأمَّا أمراض الملتحم فهي: الطُّرفة، والظَّفَرة، والرَّمَد، والانتفاخ، والجَسَأ، والحِكَّة، والسَّبَل.

وأمَّا الحِكَّة فيقال لها باليونانيَّة (قنيسموس Knesmos).

الأعراض: دمعةٌ مالحةٌ بورقيةٌ وحِكَّةٌ وحُمْرةٌ في الأجفان والعين وقُروح».

- الحاوي: (٢/ ٢٧٦): «روفس إلى العوام: قال: الحُكَاك وجميع ما يلذع العين...».

- الكشكري: الكُنَّاش: (ص ٤٠ - ٤٣): «الحِكَّة: وأمَّا الحِكَّة فتحدث من مِرَّةٍ صَفراء تنصبُّ إلى الجفن فتحدث فيه حِكَّةً وحرقةً».

[وهو يفعل هنا ما فعله حنين وعليّ بن سهل (رَبَّن)].

---

(٣٦) المسائل في العين: (المسألة: ١٥٥، ص ٥٩): «كم هي أصناف الأمراض الحادثة في الحجاب الملتحم؟

جواب: سبعة وهي: الطَّرفة، والظَّفرة، والرَّمد، والانتفاخ، والجسأ، والحِكَّة، والسَّبل».

(٣٧) المسائل في العين: (المسألة:١٥٩،ص٦١): «واعلم أنَّ الانتفاخ والجَسَأ والحِكَّة ليست هي من أمراض الأجفان خاصةً، ولكن من أمراض الأجفان والحجاب الملتحم».

– عليّ بن العبَّاس المجوسيّ: الملكي: (١/ ٣٤٠ – ٣٤١): «فأمَّا الحِكَّة فعلامتها دمعةٌ مالحةٌ بورقيةٌ تحرق العين وحِكَّةٌ وحُمْرةٌ في الأجفان والعين».

[شأنه شأن الكشكري من قبله].

– الزهراوي: التصريف: (ص ٤٠٨): «الحِكَّة: تعرِض في المُؤْقين كليهما، أو في أحدهما، وإمَّا في باطن الجفون.

وتكون إذا ابتدأت بغير حُمْرةٍ في العين، فإنْ تمادت بها الأيام احمرَّت الأَمْآق وتولَّد السُّلاق».

– عليّ بن عيسى: تذكرة الكَحَّالين: (ص ١٢٢ – ١٢٣): «أمَّا الحِكَّة فنوعٌ واحدٌ.[الحِكَّة المرض]

علامتها: أنَّها تُحْدِثُ في العين دمعةً ويكون الجفن أحمر، وربَّما عَرَضَ من شدَّة الحِكَّة قروحٌ في الأجفان وربَّما عَرَضَت الحِكَّة في المَأْق الأكبر أو في المُؤْقين جميعاً أو في باطن الجفن.

وسببها: رطوبةٌ مالحةٌ بورقيةٌ غليظةٌ تنصبُّ إلى الجفن».

[شدَّة الحِكَّة: عَرَضٌ، الحِكَّة: مرضٌ].

للبحث صلة

* * *

المصادر والمراجع

- تذكرة الكحّالين، علي بن عيسى (ق١٠-١١م)، (محقق).
- التَّقسيم والتشجير، الرازي (ق٩-١٠م)، (محقق).
- التنوير في المصطلحات الطبية، أبو الحسن القمري (ق١٠م)، (محقق).
- الحاوي في الطّبّ، الرازي (ق٩-١٠م)، (محقق).
- دَغل العين، ابن ماسويه (ق٩م)، مخطوط بطرسبورغ، مخطوط القاهرة.
- الرسالة الهارونية، عيسى بن حكم (مسيح الدمشقي) (ق٨-٩م). (محقق).
- الطّبُّ المنصوريّ، الرازي (ق٩-١٠م)، (محقق).
- العشر مقالات في العين، حنين بن إسحاق (ق٩م)، (محقق).
- غِنى ومُنى، أبو الحسن القمري (ق١٠م)، مخطوط الظاهرية، مخطوط القاهرة.
- القانون في الطب، ابن سينا (ق١٠-١١م)، (محقق).
- كامل الصناعة الطبية (الكتاب الملكي)، علي بن العباس (ق١٠م)، (محقق).
- الكُنَّاش المُشجَّر، ابن ماسويه (ق٩م)، مخطوط باتنا (الهند).
- الكُنّاش، يعقوب الكشكري (ق٩-١٠م)، (محقق).
- المسائل في العين، حنين بن إسحاق (ق٩م)، (محقق).
- المُشجرة في أمراض العين، الرازي (ق٩-١٠م)، مخطوط طهران.
- المعالجات البقراطية، أبو الحسن الطبري (ق١٠م)، (محقق).
- معرفة محنة الكحَّالين، ابن ماسويه (ق٩م)، مخطوط بطرسبورغ، مخطوط القاهرة، مخطوط إستانبول.
- المقالة الثانية من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، الزهراوي (ق١٠-١١م)، (محقق).